

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسنطينة

قسم اللغة العربية

د. شافية هلال

أستاذ محاضر-أ-

c.helal@univ-emir.dz

دراسة نفسية اجتماعية في شعر أغربة العرب

A psychological social study in the poetry of foreign Arabs

الملخص بالعربية:

تحاول هذه الورقة البحثية أن تقدم دراسة نفسية اجتماعية لشعر طائفة من الشعراء السود الجاهليين وسمت " بأغربة العرب" زيادة لهم في الإذلال والاضطهاد، عاشت ظروف خاصة وترسبت في لا شعورهم كل رواسب النقص والحرمان وعبرت عن رؤية فنية لها خصوصيتها في المدونة الشعرية التراثية. وتتعامل هذه الورقة البحثية مع النصوص الشعرية لهؤلاء الأغربة وفق منظور نفسي واجتماعي في محاولة تفسير نصوصهم وتقريبها للكشف عن الدوافع اللا واعية وراء إبداعهم الشعري، لتحقيق التكيف والالتزان مع النفس والمجتمع والتي جعلته مرآة صادقة تعكس أحاسيسهم وانفعالاتهم وعلاقاتهم، فالنص الشعري ما هو إلا وثيقة نفسية واجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

أغربة العرب- عقدة اللون- الاضطهاد الاجتماعي- الإحساس بالدونية-المنهج النفسي

Summary in English:

This research paper attempts to provide a psycho-social study of the poetry of a group of black poets of the pre-Islamic who were labeled "the foreigners of the Arabs," adding to their humiliation and persecution. They lived in special circumstances and deposited in their

subconscious all the residues of inferiority and deprivation, and they expressed an artistic vision that has its own specificity in the traditional poetic blog.

This research paper deals with the poetic texts of these foreigners according to a psychological and social perspective in an attempt to interpret their texts and bring them closer to reveal the unconscious motives behind their poetic creativity, to achieve adaptation and balance with the soul and society, which made it an honest mirror that reflects their feelings, emotions and relationships. The poetic text is nothing but a psychological and social document.

key words:

Alienation of Arabs - color complex - social oppression - sense of inferiority - psychological approach.

1-مرتکزات الورقة البحثية:

1- انبتت هذه الورقة البحثية على الشعراء الأغرّبة الذين وقع الإجماع عليهم، وعلى شاعريتهم، وعلى تمثيلهم للعصر الجاهلي، يقول ابن قتيبة أن أغرّبة العرب ثلاثة: « عنتره وأمه زبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشريدي من بني سليم، وأمه نذبة، وإلها ينسب، وكانت سوداء، والسليك بن عمير السعدي وأمه السلّكة، وإلها ينسب، وكانت سوداء»⁽¹⁾.

2- وتستند هذه الورقة البحثية على القراءة السياقية الخارجية من القراءات النقدية التي استهدفت الظاهرة الأدبية و عاينت النصوص من خلال إطارها الاجتماعي والنفسي على وجه التحديد.

3- إن المنهج النفسي قد استطاع أن يفرض نفسه في الدراسات الأدبية، بشكل بارز، واستطاع أن يفتح آفاقاً جديدة لفهم آليات الإبداع الفني، وفهم بعض الجوانب المخفية من نفسية الأديب.

4- على الباحث أن لا يغفل طبيعة النص الشعر العربي القديم وخصوصيته: الذي يبقى من حيث الموضوع والبناء يعبر عن رؤية خاصة به وخصوصية فنيّة وموضوعية تميّزها عن غيرها من أشعار العرب، فلا يمكن إخضاع نص مفتوح لنظريات نفسية تغلقه عن الدلالة الاحتمالية التي تتشكل في لغته، كما أن طرح فرويد المبني على الغرائز الجنسية فيه نظر.

2- أغرّبة العرب (التسمية ومصادر دراسة شعرهم)

(1)- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، 1377هـ - 1957، ص: ج1 ص: 251

الشعراء الأعرية : أطلق هذا الاسم على هؤلاء الشعراء الذين تسرب إليهم السواد من أمهاتهم الإماء⁽¹⁾. وسموهم في الجاهلية «بالأعرية» تشبها لهم بالغراب، ذلك الطائر البغيض، نذير الشؤم والخيبة في سواد لونه⁽²⁾؛ جاء في لسان العرب: «فلان أشد سوادا من غراب، وأشأم من غراب، وأعرية العرب سودانهم، شبهوا بالأعرية في لونهم»⁽³⁾، وفي تاج العروس: «أعرية العرب سُودانُهم، شَبَّهوا بالأعرية في لونهم، وكلَّهم سَرَى إليهم السواد من أمهاتهم»⁽⁴⁾.

ولقد اختلف الرواة في تحديد عدد الشعراء السود، فقيل: ثلاثة، جاء في كتاب الأغاني على لسان ابن الكلبي: «وعنتره أحد أعرية العرب، وهم ثلاثة: عنتره وأمه زبيبة، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه نُدبة، والسليك بن عمير السعدي وأمه السلكة، وإلهن ينسبون»⁽⁵⁾ كما يؤكد هذا صاحب خزنة الأدب⁽⁶⁾. وقيل أربعة، فقد جاء في اللسان: «الأعرية في الجاهلية: عنتره، وخفاف بن ندبة السلمي، وأبو عمير بن الحباب السلمي أيضا، والسليك بن السلكة»⁽⁷⁾.

وقد أفاض في هذا النيسابوري فقال: «(أعرية العرب): وذؤبان العرب سادتها، وهم أربعة سودان شجعان، فمنهم عنتره بن شداد العبسي، سرى السواد فيه من جهة أمه، وكانت حبشية زنجية تسمى زبيبة، ومنهم خفاف بن ندبة السلمي، سرى السواد فيه من قبل أمه وبلدته، لأنه من حرة بني سليم... ومنهم السليك المقانب، وهو السليك بن السلكة، وهي أمه، وكانت أمة سوداء، والسليك أيضا أسود، وهو أحد أعرية العرب، وأعدى الناس، لا يشق غباره، وأخباره في العدو والغارة مشهورة معروفة... ومنهم عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان لعبد الله بن الزبير»⁽⁸⁾.

(1)- عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص: 21

(2)- يقول الجاحظ: «الغراب أكثر من جميع ما تطير به، في باب الشؤم» الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب بيروت، ط3، 1402 هـ - 1982، مج1، ج3 ص: 567

(3)- ابن منظور، لسان العرب، ابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج5/3239 (مادة غرب)

(4)- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغريباوي، مراجعة: إبراهيم السامرائي، وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407 هـ - 1987 م. ج3/471 (مادة غرب).

(5)- الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، مج7، ص: 2286.

(6)- البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1406 هـ - 1986، ج1، ص: 128

(7)- لسان العرب، ج5/3230 (مادة غرب)

(8)- النيسابوري، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1384 هـ - 1965، ص: 159، 160

وقيل سبعة، أورد السيوطي قائلا: «والأغربة في الجاهلية، يعني السودان: عنتره، وخفاف بن ندبة السلمي- وندبة أمه- وأبو عمير بن الحباب السلمي، والسليك بن السلكة - وهي أمه- واسم أبيه يثربي- وهشام بن عقبة بن أبي معيط مخضرم، وتأبط شرا، والشنفرى»⁽¹⁾.

وقيل أكثر من ذلك⁽²⁾.

أما عن مصادر دراسة شعرهم فلعل أول ما يواجه الباحث في دراسته لشعر أغربة العرب، قلة شعرهم الذي وصل إلينا، فقد تعرض كثير من شعرهم إلى الضياع والإهمال والاختلاط بغيره⁽³⁾.

ولأن ما نسب إلى عنتره بن شداد العبسي من شعر لم تصح نسبته إليه، يمكن أن يوقع الدارس في كثير من اللبس والتجاوز، فإنني اعتمدت على ديوانه الذي حققه محمد سعيد مولوي، معتمدا على ست نسخ مخطوطة للديوان، وهو حسب رأي أغلب الباحثين أصح ما روي لعنتره من شعره.

أما الشاعر خفاف بن ندبة السلمي، فقد اعتمدت على ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي، بينما الشاعر السليك بن السلكة السعدي، فقد اعتمدت على ديوانه "السليك بالسلكة-أخباره وشعره-، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد.

3- بين الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع:

الصلة بين الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع وثيقة ومتبادلة؛ لأن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس، وما الأدب إلا مرآة للمجتمع أي تعبير عن الحياة الاجتماعية التي تنعكس بصورة مباشرة في الإبداع الأدبي «لذا كان الأدب، وما زال طريقا من طرق الكشف عن أسرار النفس البشرية، فهو من حيث مصدره يحمل في طياته صور الشخصية التي أبدعته وملامح من البيئة الاجتماعية، والفكرية التي يعيش فيها مبدعه وهومن حيث مادته يضع أمام قارئه أنماطا من السلوك، وطرزا من الشخصية ونماذج من قضايا الصراع الداخلي الذي ينشب بين الرغبات، والأهواء، والقيم الإنسانية»⁽⁴⁾

ووفق لهذا (إن الأدب نشاط اجتماعي يبده مبدع عضو في كيان اجتماعي كبير يؤثر فيه عوامل متعددة

(1)- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ج2، دار إحياء الكتب العربية، ط4، 1378هـ - 1958، ص: 334

(2)- ينظر: ابن حبيب، المحبر، تصحيح: إيلزه ليختن شتير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1361هـ - 1942، ص: 306، 308

(3)- ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 3، 7، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ص: 151، 167، 168

(4)- محمد خلف الله أحمد، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1947م، ص: 238

معقدة، فالمبدع فرد ينظوي تحت لواء المجتمع ونتاجه بضرورة نتاج اجتماعي⁽¹⁾.

وعلم النفس أكثر قدما بالنسبة إلى أكثر النظم العلمية المتاحة؛ إذ يمكن تتبع جذوره في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ومع علماء مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو؛ هذا الأخير ونظريته في التطهير الذي تحدّثه التراجيديا في نفوسنا، فأرسطو (322 Aristoteles ق.م) وجد أن الإحساس بالعطف، والخوف من شأنه أن يخلصنا من العواطف المشوشة، والمضطربة، ويجعلنا أكثر قربا من الوجدان الإنساني العام البعيد عن تضخم الذات فالتراجيديا تطهر نفوسنا من الأحاسيس المضطربة التي تحدّثها فينا الحياة اليومية⁽²⁾ وقد تم إرساء أسس النقد النفسي في القرن العشرين وأول نظرية نفسية شاملة يتعلق بزعيمه ومؤسسه، الطبيب النفسي النفساني سيجموند فرويد (Sigmund Freud / 1856-1939 م) ويعد فرويد أول من كرس جهدا لإنجاز جزءا مهما من أبحاثه في العلاقة بين علم النفس والأدب والفن، وفي رأيه الغريزة الجنسية الدافع الأول والأهم للميل للأدب والفن، «فإبداع الفنان يرجع في مصدره إلى الرغبة في التخفيف من عبء خاص، وإلى محاولات تحقيق رغبات في عالم الخيال لم تشبع في عالم الواقع»⁽³⁾.

ومن الذين أصروا على رفض نظرية فرويد وخالفوه، ألفريد أدلر (Alfred Adler / 1870-1937 م) طبيب النفس النمساوي ومواطن فرويد، الذي ينبغي اعتباره حقا أبا للحركة الجديدة في علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي؛ وتدلل نظريته على أن إثارة الإنسان تتم في الحقيقة عبر العوامل الاجتماعية وليس عن طريق العوامل البيولوجية، وفي رأيه ليس الإنسان ماكنة أو ساعة مضبوطة وليس بدمى في يد حوافزه (اللاواعية) بل هو موجود يتمتع إلى حد ما بالحرية والخيار وإمكانه أن يمنح حياته معنى ساميا.⁽⁴⁾

بينما كارل يونغ (Carl Jung / 1875-1969 م) يرى أن الإبداع في الفن والأدب ليس ظاهرة مرضية ولا تعبيرا عن عقد جنسية أو تعويضا عن مركبات النقص بل هو تعبير عما هو مخزن في اللاشعور الجمعي⁽⁵⁾.

هذا عن بعض ملامح المنهج النفسي الذي لا يتوقف في محاولة تفسيره للظاهرة الأدبية عند نفسية الأدبي المبدع بل تعداه إلى نفسية المجتمع لينفتح المجال للحديث، عن علم الاجتماع، فبدايته الفعلية

(1)- إبراهيم الساعفين، و خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوليدات،

القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2010م، ص: 94

(2)- ينظر: نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997م،

ص: 186

(3)- عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1988 م ص: 13

(4)- زراع أفرين و فاطمة كوثر، التحليل النفسي لشخصية عنتر في رحاب أشعاره وفقا لنظرية سيجموند فرويد وألفريد

أدلر، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد: 8، العدد: 4، العراق: 2018، ص: 406.

(5)- ينظر: مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، منشورات جماعة علم النفس التكامل، دار المعارف، القاهرة- جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، ص: 20.

كان على يدي كارل ماركس (1818-1883 م)؛ وصديقه فريدريك إنجلز (Friedrich Engels 1820-1895 م) فيما عرف بالمادية التاريخية؛ والأدب وفق رؤيتهما خاض للقوى الاقتصادية والايديولوجية، وليس لأي قيمة جوهرية.

وتعد الروائية الفرنسية مدام ودستال (1766-1817 Madame de Staël) بكتابتها الموسوم "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" الصادر عام 1800 أول دراسة منهجية في مسار سوسولوجيا الأدب، بنت فيه مبدأ مفاده أن الأدب تعبير عن المجتمع، وأنه يتغير بتغير المجتمع، ويتطور حسب تطور الأوضاع الاجتماعية وأكدت (أننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتدوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن المعرفة بالظروف الاجتماعية التي أدت إلى إبداعه وظهوره)⁽¹⁾

ثم اكتسبت التحليلات التي تضمنها كتاب الناقد الفرنسي «هيبوليت تين» (Hippolyte Taine 1828 - 1893 م) في كتابه «تاريخ الأدب وتحليله» الصادر في العام 1863، أحد أشهر التطبيقات الممثلة للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله؛ ووفق كل هذا ظهرت في القرن العشرين جهودا كثيرة لدراسة العلاقة بين المجتمع والأدب باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة لعل أهمها ما جاء به جورج لوكاتش (George Lucas 1885 - 1970) والذي تبناه وطوره الناقد ومنظر علم الاجتماع الماركسي لوسيان غولدمان (Lucien Goldmann 1913-1970) مقدما توجهها جديدا يسمى علم الاجتماع الإبداع الأدبي.⁽²⁾

4- خلفيات الواقع الاجتماعي والنفسي وانعكاساته في شعر أغربة العرب:

تعتبر طائفة أغربة العرب طائفة متميزة في المجتمع العربي الجاهلي اجتماعيا ونفسيا، كان لا بد لنا أن نتعرف على مجموعة الأحداث والظروف والمؤثرات التي ساهمت من قريب أو من بعيد في بناء كيان تلك الشخصيات المتميزة، وفي رسم معالمها، وكان لا بد لنا أيضا، من الإلمام بالتيارات التي تنازعت نفسيات الشعراء عبر واقعهم، مستطلعين الأسباب الخفية التي أحاطت بهم، والتي جعلت من شعرهم مرآة صادقة تعكس أحاسيسهم، وانفعالاتهم، وعلاقاتهم؛ يرى أدلر: «أن فهم شخصية الفرد، وطبيعته الداخلية يستلزم الكشف عن الإطار الاجتماعي الذي فيه يحيا الإنسان، من حيث إن الإنسان كائن اجتماعي، تتشكل حياته في سياق المعايير الأخلاقية والثقافية والاجتماعية؛ فالظروف الاجتماعية، والاقتصادية لها أثر مهم في إبراز دوافع سلوك الإنسان، وفي تكوين تفكيره، فالإنسان ليس كائنا منعزلا عن الوسط الاجتماعي الذي

(1)- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة-الأردن، الطبعة الأولى، 2005، ص:67

(2)-، ينظر: سعيدة تومي: سوسولوجيا الأدب: (النشأة والتطور) مجلة معارف قسم الآداب واللغات، جامعة البويرة-الجزائر، السنة الثامنة، العدد:16، ديسمبر:2014، ص:232-239.

يعيش فيه، بل هو كائن اجتماعي قادر على خلق شخصيته من خلال نشاطه الذاتي»⁽¹⁾.

من واقع النظرة الأولى نرى أن الشعراء السود قد ولدوا ولادة مختلفة – كما يتجلى من الروايات- من أب سيد شريف في قومه، وأم أمة سوداء، فوالد عنتره "شداد العبسي"⁽²⁾ كان قد وقع على أمة حبشية سوداء تسمى زبيبة، سبها في إحدى غزواته فأولدها عنتره⁽³⁾.

أما خُفاف، فأبوه عمير السليبي وأمه نُدْبَةُ، وهي أمة سوداء، كان الحارث بن الشريد قد سبها حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير، فولدت له خفافا⁽⁴⁾.

أما السليبي، فأبوه هو عمرو⁽⁵⁾ بن يثربي التميمي، وأمه السليبي، وهي أمة سوداء⁽⁶⁾.

ولقد وسم الشعراء السود في هذه الولادة بثلاث سمات، لم يطبقوا الإذعان لها ولم يكادوا يوفقوا إلى التحرر منها:

(أ) سمة السواد:

فقد أتى كل من (عنتره، وخفاف، والسليبي) مسرفين في السواد، لدرجة أن سوادهم كان أشبه بلافتة يحملونها على وجوههم وسائر ملامحهم، أو كأنه علم منكر، مشؤوم، يعلن للناس عاهتهم ونقصهم، وقد تحدر إليهم من جهة أمهاتهم، ولا شأن لهم فيه أو في دفعه⁽⁷⁾.

ومن سوء حظ عنتره، وخفاف، والسليبي، أن أسوأ الهجاء حظا، وأوضعهم منزلة اجتماعية أولاد الإماء السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، فقد كانوا سبة يعير بها أبائهم⁽⁸⁾.

فقد خرج هؤلاء "الأغربة" إلى الحياة، وقد سمتهم الطبيعة بذلك اللون الذي يبغضه مجتمعهم، والذي لا يد لهم فيه، ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول منذ البدء دون أن يعترف بهم أبائهم، ثم إذا به بعد ذلك يقف صخرة تتحطم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية كما يشارك غيرهم، ولا يرى لهم إلا

(1)- إسحاق رمزي، علم النفس الفردي -أصوله وتطبيقاته- دار المعارف، ط2، 1953، ص: 102.

(2)- وهو الراجح عند أكثر الرواة وأعلامها، ولقد أحصى الباحث سعيد مولوي خمسة أقوال في اسم والد عنتره، ينظر:

ديوان عنتره بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي نشر المكتب الإسلامي، 1390 هـ، 1970، ص: 19-20.

(3)- ينظر: الشعر والشعراء 1/350، الأغاني 8/2983.

(4)- ينظر: ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، 1960، ص: 325، الأغاني 19/6827، الخزانة 444-443/5.

(5)- وقيل: عمير، ينظر: الشعر والشعراء 1/365، والأغاني 23/8085.

(6)- ينظر: الأغاني 23/8085، والخزانة 3/345.

(7)- ينظر: إيليا سليم الحاوي في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1979م، ص: 186.

(8)- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 108.

فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة محترقة في ذل لا فكاك منه⁽¹⁾.

فلقد كانت عقدة اللون من الأسباب الرئيسة في مأساة عنتره اليومية، ومع أن هذا الشاعر كان فارس بني عبس وحامي قبيلته، وكان صوتها الشعري الرائع، فإن النظرة إليه ظلت تعذبه، وترهق نفسه، فقد ظلت كلمة "ابن السوداء" تلاحقه حتى وهو عائد من ساحة المعركة منتصرا؛ ولذلك فهو يتحدث عنها بمرارة، وألم شديدين⁽²⁾

وليس أدل على ذلك من قول قيس بن زهير - زعيم عبس - بعد أن أبلى عنتره في قتاله بلاء حسنا وهزم أعداءه، قال قيس: «والله ما حَيَّ الناسَ إلا ابن السوداء»⁽³⁾.

ثم إن نظرة المجتمع إلى اللون الأسود كانت كثيرا ما تكسر قلب الشاعر وتدمغه، وتعرقل خطواته⁽⁴⁾؛ ففي أحد المواقف يقول عباس بن مرداس لخفاف: «والله لا أشتمُ عِرْضَكَ، ولا أُسَبُّ أبَاكَ، وأُمَّكَ، ولكن رمى سَوَادَكَ بما فيك»⁽⁵⁾.

وإذا انتقلنا إلى الشاعر الصعلوك السليق بن السلكة، أحد سودان العرب وأغربتهم المشهورين، فإننا لم نعثر له على شعر مباشر في تأثير السواد عليه، وربما يرجع ذلك إلى قلة شعره الذي وصل إلينا⁽⁶⁾، وإلى «أن الصعاليك الأخرية كانوا يجدون غضاضة في الحديث عن هذه الظاهرة التي كانت مصدر احتقار المجتمع الجاهلي لهم»⁽⁷⁾.

ب-سمة الهجئة:

حيث كان العرب يطلقون على ابن العربي من الأمة «هجيناً» جاء في لسان العرب: «الهجينُ: العربي ابن الأمة لأنه معيب، وقيل: هو ابن الأمة الراعية ما لم تُحصَن، فإذا أحصنت فليس الولد بهجين»⁽⁸⁾. يقول المبرد: «الهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة، والأصل في ذلك أن تكون أمة»⁽⁹⁾. والهجنة لفظ يشعر

(1)- ينظر: المرجع نفسه، ص: 109.

(2)- ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 282.

(3)- الأغاني 2987/8.

(4)- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 49.

(5)- الأغاني 6830/19.

(6)- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 65-66.

(7)- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 230.

(8)- لسان العرب، 6/3625 تحت مادة "هجن".

(9)- المبرد، الكامل في اللغة والأدب والنحو، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3،

1417هـ - 1997، ص: 94.

معناه اللغوي⁽¹⁾ الدال "على اللؤم والخسة بمدى احتقار العرب لأبناء الإمام"⁽²⁾.

ومن الطبيعي أن يعد زواج العربي من أمته زواجا غير متكافئ، وأن يطلق على ثمرته اسما خاصا، وأن لا ينظر إلى هذه الصلة نظرة احترام، لاسيما في مجتمع يحرص على الشرف في كلا طرفيه⁽³⁾. جهة الأب وجهة الأم- ولا يصل المرء فيه إلى التوازن والرفعة إلا بهما معا.

وقد كان أبغض ما يبغضه العربي أن تلد أمته منه، فقد قالت العرب: «إنا قوم نبغض أن تلد فينا الإمام»⁽⁴⁾.

ج-سمة العبودية:

وهي متولدة من الثانية أو متصلة بها⁽⁵⁾، وهي سمة الرّق، والعبودية، والشعور بالاغتراب بين الناس؛ جريا على عادة العرب في استعباد أبناء الإمام⁽⁶⁾ نشأ كل من عنتره والسّليك عبدين مغمورين، نُجّ بهما إلى رعاية الماشية وتعمد الإبل، يحيون حياة قاسية في ظل عبودية مقبّية فيها الإكراه، والزجر، والمعاناة.

يخبرنا السيوطي في حديث له عن نشأة عنتره، أن شدادا قال لأولاده: «إن هذا الغلام ولدي، فكذبوه وقالوا: أنت شيخ قد خرفت تدّعي أولاد الناس، فلما شب عنتره قالو له: اذهب فارع الإبل، والغنم، واحلب، وصرّ، فانطلق يرعى»⁽⁷⁾ معرضا للضرب والإهانة، فقد روى صاحب الأغاني: «كان عنتره قبل أن يدّعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يراودني عن نفسي، فغضب من ذلك شداد غضبا شديدا، وضربه ضربا مبرحا وضربه بالسيف، فوقع عليه امرأة أبيه وكفته عنه، فلما رأت ما به من الجراح بكت- وكان اسمها سُمَيَّة وقيل سُهَيَّة»⁽⁸⁾.

فقال عنتره:

تَجَلَّلْتَنِي إِذْ أَهْوَى الْعَصَا قِبَلِي كَأَنَّهَا صَنَمٌ يَعْتَادُ مَعْكَوْفُ

(1)- جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج: 279/4 «الهجين: اللئيم» وجاء في اللسان 4625/6 «الهجنة من الكلام وما يعيبك» فاللؤم والعيب من المعاني السلبية التي ينبض بها الجذر الثلاثي "هجن".
(2)- إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1963 م ص: 68.

(3)- ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 107-108.

(4)- الأغاني 165/20.

(5)- جاء في تاج العروس 225/8 مادة (سود) «أن السيد في الغالب أبيض، والعبد في الغالب أسود، وبين السواد والبياض تضاد، كما بين السيد والعبد».

(6)- ينظر: الشعر والشعراء 250/1 والأغاني 2983/8.

(7)- السيوطي، شرح شواهد المغني، تحقيق: محمد محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج 1 ص: 481.

(8)- الأغاني 2983/8.

المالُ مالُكم والعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِي الْيَوْمَ مَصْرُوفٌ⁽¹⁾

وذكر البغدادي، أن عمرا بن معد يكرب، كان يقول: «ما أبالي أي ظعينةٍ لقيت على ماءٍ من أمواه معدٍّ، ما لم يلقني دونها عبداها أو حرًّاها، وعني بالعبدین: عنترَة العَبْسِي، والسُّلَيْك بن السُّلَكَة»⁽²⁾.

وإن كان خفاف بن ندبة، أوفر حظا من عنترَة والسُّلَيْك، فهو لا يستعبد ولا يغمر نسبه، بل يأخذ طريقا سويا في قبيلته⁽³⁾. فإن السواد كان المظهر الخارجي لعبوديته، فاللون الأسود هو رمز العبودية في الجاهلية، وإن لم يستعبده ذووه، فإن نظرة الصرحاء المتعصبة على الهجنة نفته من دائرة الأحرار، وزجت به في دائرة الاسترقاق، والعبودية: فالعصبية جعلت الصريح لا يرى في الهجين إلا عبدا، ولو كان حرا⁽⁴⁾.

لقد ولد الشعراء السود، إذن ولادة مختلفة «هجناء/ سود/ عبید» فيحصلون على هويتهم مناصفة، في بيئة تؤمن بوحدة جنسها ونقائه، وتقديس النسب قاعدة رئيسة من قواعد الإيمان بالعصبية القبلية. وهكذا، يبدو لنا أن الشعراء السود، كانوا من الذين يعانون عقدة الولادة أو عقدة الخطيئة الأصلية، التي تفد مع الإنسان إلى عالم متعصب قاس، ولا سبيل له إلى التحرر منها إذ ينظر إليه من خلالها.

5- شعر أغربة العرب وفق المنظور النفسي والاجتماعي:

إن إحساس الشعراء الأغربة بأنهم هجناء سود من الأرقاء، قد أذكى في نفوسهم منذ الصغر شعورا حادا بالنقص⁽⁵⁾، ترسخ في أعماق نفوسهم، وتضاعف وتعمد بين الواقع الوجودي لهم، وما يتمنونه لأنفسهم.

وذلك أن الإنسان يحمل في نفسه رغبات ونزعات يتمنى تحقيقها، وينظر إلى مستويات الحياة يبغى الوصول إليها، فإذا قصر عن الوصول إليها، أو قامت أمامه عقبات قاهرة، انعكست هذه الرغبات إلى باطن نفسه فشكلت عقداً⁽⁶⁾، وتتجه هذه العقد في أحد سبيلين، إما التصعيد والدفع نحو الكمال والخير، أو الانطواء

(1)- الديوان، ص: 270، تجللتني: أي وقعت علي، يعتاد: يلزم، المعكوف: الذي يعكف عليه.

(2)- الخزانة 80/3.

(3)- ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 48.

(4)- ينظر: فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1998 م. ص: 168.

(5)- عقدة النقص أو الدونية Inferiority، كما يراها العالم النفساني أدلر: عقدة يعاني منها الفرد وتدفعه إلى التعويض بالتحدي والتمرد على كل ما يعترضه في تكوينه النفسي. ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص: 68.

(6)- العقدة: Complex، مجموعة أفكار أو رغبات، لها صبغة انفعالية معينة وذات محتوى غريزي، تترابط مع بعضها، وتدفع الشخص إلى التفكير، والتصرف بطريقة خاصة به، تختلف عما اعتاده هو، وتثير في نفسه الاضطراب. ينظر: خليل أبو فرحة، الموسوعة النفسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص: 21.

مع الحقد والكراهية⁽¹⁾.

إن الإحساس بالنقص حرك القوى النفسية داخل الشاعر عنبرة للتعويض، مما يضمن له الأمن، ويخفف شعوره بالدونية، الأمر الذي دفعه إلى التسامي والاستعلاء⁽²⁾ كوسيلة فعالة وقوية يدافع بها عن ذاته، ويحقق وجوده، ويوجه انتباه المجتمع إلى ما قد يستمتعون به، وبالمقابل يصرف نظره عن واقعه الحقيقي، ذلك أن التسامي لا يعدو كونه «سلوكًا ذا صبغة آلية "Mécánisme" دفاعية تنزع إلى تعويض عيب أو صراع شخصي أو تقنعيه⁽³⁾.

و تعكس نصوص الشاعر عنبرة بن شداد الشعرية حالة متفردة من التسامي والاستعلاء، وتفصح عن صور فريدة من صور الاقتدار البطولي والفروسية النادرة التي شهد لها الكثير، وشدة في إظهار العظمة والكفاح، فعنبرة لا ينازل إلا الأبطال الجسام الذين يتمتعون بقدرات قتالية وملاحم بطولية ليعزز مبدأ التسامي الذي وظفه للكشف عن قدرة الشاعر في قهر هذه القوة والتغلب عليها، بحيث يوحي لنا أن من يقهر خصما بهذه القوة والبطولة، إنما يتمتع بقوة وبطولة تفوقها وتسمو عليها فيقول: [الوافر]

بَأَسْمَرَ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ لَدُنِ	وَأَبْيَضَ صَارِمِ ذَكْرِ يَمَانِي
وَقِرْنِ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكْرٍ	عَلَيْهِ سَبَائِبُ كَالأَزْجَوَانِ
تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ	كَمَا تَرْدِي إِلَى العُرْسِ البَوَانِي
وَيَمْنَعُنَّ أَنْ يَأْكُلَنَّ مِنْهُ	حَيَاةُ يَدِ وَرَجْلِ تَرْكُضَانِ ⁽⁴⁾

إن الرغبة في منازل الأبطال الشجعان، والفخر بقتلهم، وطعنهم، وتمزيقهم قد تفصح عن الآلام الدفينة التي يعيشها هذا العبد الأسود، فعنبرة يريد أن يثبت للجميع بأنه من طبقة هؤلاء الأبطال الجسام، بل يتفوق ويتسامى عليهم بقوته، فصورة القوة للخصوم، تؤكد الذات، وتعطيها أبعادها كما يجب أن تكون من

(1)-ديوان عنبرة، ص: 68.

(2)-والتسامي: "sublimation" هو حالة تصعيد ذاتية بقيمة الشيء أو الموضوع وتحميله رؤية ذاتية تجعله في مقام ومنظور أعلى من حالته الاجتماعية الممكنة وتمنعه من الترهل والابتدال، وتحصنه من محاولات فهمه المباشر الموهن لرؤاه الجمالية والحسية العالية. ينظر: ريكان إبراهيم، نقد الشعر في منظور نفسي، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص: 29

(3)-لورانيس شافر، علم النفس المرضي (سوء التوافق في الحياة اليومية)، ترجمة: صبري جرجس، إشراف: يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، 1984م، ص: 318-319.

(4)-ديوان عنبرة، ص: 295-296. أسمر: الرمح. الخط: موضع بالبحرين تنسب إليه الرماح. اللدن: اللين الهز. الصارم: السيف القاطع. الذكر: الحديد المذكر. سبائب: ذوائب الشعر خضبت بالدم. القرن: في القتال، معناه المقارن والمماثل. البواني: ج بانية، وهن اللواتي يذفن العروس إلى زوجها. حياة يد ورجل: أي صرعه ولم يجهز عليه.

وجهة نظر ذلك المجتمع.

ثم إن تكرار صور الطعن والدم التي يعج بها شعره تكشف هي الأخرى عن حس مأساوي وحقد دفين، فعنترة لا يختار ضحاياه فحسب، بل يتشفى بمصارعهم، ويقسو قسوة بالغة في وصف ما أنزل بصرعاه من قتل وتمثيل وكأنني به يتلذذ بمنظر الفرائص النازفة والرؤوس المعفرة⁽¹⁾. يقول: [الوافر]

تَرَكْتُ جُبَيْلَةَ بَنَ أَبِي عَدِيٍّ يَبُلُّ ثِيَابَهُ عَلَقٌ نَجِيعٌ
وَأَخَرَ مِنْهُمْ أَجْرَزْتُ رُمُجِي وَفِي الْبَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعٌ⁽²⁾

وما نلاحظه في شعر عنترة أنه كان يحس ببهجة غامرة حين يستنجد به قومه ويحسون الحاجة إليه، وسر هذه النشوة يكمن في اقترابه من هدفه، وفي نجاحه في إجبار قومه على الاعتراف به⁽³⁾، يقول: [الكامل]

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ وَبِكَ عَنَتَرَ قَدِّمٌ⁽⁴⁾

ولكن هذا الشفاء النفسي مؤقت ارتبط في نفس الشاعر بشفاء آخر، فنفس عنترة تكاد تصل إلى الشفاء في هذا المشهد الذي يرى فيه أعداءه يسقطون قتلى من أعلى الجبل الطويل وكأن العلاقة بينه وبين خصومه علاقة عكسية فكلما يهوي أعداؤه للأسفل يسمو عنترة ويرتقي إلى الأعلى⁽⁵⁾، يقول: [الطويل]

شَفَى النَّفْسَ مِنِّي أَوْ دَنَا مِنْ شِفَائِهَا تَرَدَّيْهِمْ مِنْ حَالِقِي مُتَّصِوِبٍ⁽⁶⁾

ويقول: [الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّ يَوْمَ عُرَاعِرٍ شَفَى سَقَمًا لَوْ كَانَتِ النَّفْسُ تَشْتَفِي⁽⁷⁾

إن عنترة يعاني من أزمة حقيقية، فنفسه تنوء بحمل ثقيل شبيه بداء دفين، جراء واقعه الذليل الذي أوثقه بشباكه، على الرغم من محاولته إخفاء الصراع الذاتي الذي يعيشه، قال معاوية (ت:60هـ): «...وما

(1)- ينظر: فوزي محمد أمين، عنترة بن شداد العبسي، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م، ص: 184.

(2)- ديوان عنترة، ص: 285، جبيلة: رجل من جبلة، وهم حي من بني سليم. العلق: الدم المعلبة: السهم العريض الطويل النصل. الوقيع: المحدد.

(3)- ينظر: فوزي محمد أمين، عنترة بن شداد العبسي، ص: 174.

(4)- ديوان عنترة، ص: 219. ويك: وي تنبيه والكاف للخطاب.

(5)- ينظر: جاسم محمد عباس الصميدي ومحمد كامل حماد الجابري، اغتراب الذات في شعر الأعرية، ص: 60.

(6)- ديوان عنترة، ص: 279. ترددهم: ترامهم. حالق: هو الجبل الطويل. تصيح: يسمع لها صوت. الردينيات: الرماح.

الحجبات: رؤوس الأواري. العوالي: صدور الرماح. الثقاف: الذي تقوم فيه الرماح.

(7)- ديوان عنترة، ص: 229، عرار: ماء لكلب.

رأيت أحدا يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها»⁽¹⁾ فتسامي عنثرة ورفع نفسه عن كل ما يحيط بها من مثبطات ومحبطات في محاولة قوية للتعويض والدفاع عن الذات، فالفروسية شفت جزءا من سقم عنثرة، لأنها أوصلته إلى الحرية، ليحقق الأمن بالانتماء إلى عبس وأشبعته حاجاته إلى التقدير الاجتماعي الذي حرم منه، وجعلته موضع قبول واحترام وخلدت ذكره بين قومه.

وعلى عكس عنثرة تطالعنا نصوص الشاعر السليك بن السلوك المقتضبة عن نمط مغاير للمواجهة إنه عالم الصعلكة، حين ارتبط الجوع بالنقمة على سلبيات النظام القبلي الصارم فتحول هذا الارتباط الطبيعي بين الواقع الاقتصادي المرير والواقع الاجتماعي القاسي، إلى تمرد هو في الحقيقة، نواة ثورة أدبية واجتماعية يمثلها الشعراء الصعاليك⁽²⁾، يقول: [الطويل]

وعاشية رُجَّ بَطَانٍ ذَعَرَتْهَا	بصوتٍ قتيلٍ وَسَطَهَا يُتَسَيَّفُ
كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنٌ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ	إذا ما أتاه صارخٌ مُتَلَفِّفٌ
فَبَاتَ لَهُ أَهْلٌ خَلَاءٌ فِينَاؤُهُمْ	ومرَّت بهم طَيْرٌ فلم يتعيَّفوا
وكانوا يظنُّونَ الظُّنُونَ وَصُحْبَتِي	إذا ما عَلَوْا نَشَزًا أَهْلُوا وَأَوْجَفُوا
وما نلُّها حَتَّى تَصْعَلِكْتُ حِقْبَةً	وكنْتُ لأسبابِ المنيَّةِ أَعْرِفُ
وحَتَّى رأيتُ الجُوعَ بالصيفِ ضَرَّتِي	إذا قمتُ يَغْشَانِي ظِلَالٌ فَأُسَدِفُ ⁽³⁾

فالنص يبرز روح الانتقام التي تملكك السليك من كل جانب، والتي تترجم عن نفسها بالبطش والفتك، كما يعكس وقع الجوع على نفسه، حينما يرتبط الجوع بالنقمة وحرارة التمرد، فنراه ينقض ويأخذ ما يحتاجه وتنطلق صرخات الذات المتمردة التي تعاني من الاضطهاد والتمايز الطبقي حين يجاوز الشاعر العبد السليك ذاته في الآخرين حيث تشيع المرارة في محاولاته للانفلات من براثن الواقع إلى الموقع الذي يرضيه لنفسه تحت الشمس، حين تتصل برؤيته لخالاته الإماء، بين الرجال وهن يُبَعْنَ وينتقلن سلعة من سقط المتاع، وهو عاجز عن تخليصهن، يقول: [الوافر]

أشابَ الرأسَ أَنِي كُلَّ يَوْمٍ أرى لي خالَةً وَسَطَ الرِّجَالِ

(1)- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405هـ-1985م. ج: 4، ص: 70-71.

(2)- ينظر: عناد غزوان، أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية، صنعاء-اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م. ص: 101.

(3)- السليك بالسلكة-أخباره وشعره-، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني-بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م، ص: 59-60، الرج: جمع رجاء وهي الناقة العظيمة السنام. لون برد محبر: طرائق الدم على القتيل. صارخ: وهو المتحرزن عليه. لم يتعيّفوا: لم يجزروا الطير فيعلموا أيقتل هذا أم يسلم. أوجفوا: حملوها على الوجيف، وهو ضرب من السير.

يَشُقُّ عَلِيٌّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا وَيَعْجَزُ عَنْ تَخْلُصِهِنَّ مَالِي⁽¹⁾

إن شعور السليك بعمق الهوة بينه وبين غيره، ووطأة الظلم والحرمان، قد قاده إلى التمرد على الكيان الاجتماعي الذي رفضه وأنكر وجوده، والثورة على القيم الجائرة، التي دأبت دوماً على كبح جماحه وحالت دون طموحاته، وجعله لا يتردد في الإقبال على السلب والنهب، على حد قول العقاد: «وقد أهله كل هذا الهوان إلى أن يترجم عن عبوديته بالإباق والتشرد والسطو على الأموال والأعراض»⁽²⁾

وكأنني بالسليك بنفس مما عاناه من وطأة العبودية وويلات النذل والقهر والحرمان، في صورة نقمة علنية في وجه المجتمع، فالسليك يقتل الناس، ويقتل عدواً غامضاً من دونهم، لتغدو الصعلكة عنده «هي إرادة الحياة، هي القدرة على الفتك بكل من يحجب الحياة»⁽³⁾.

وعلى صعيد آخر في المواجهة يقف الشاعر الفارس خفاف بن ندبة، معتداً بذاته، محاولاً اجتياز حاجز اللون ولوث الهجنة، في حالة من الرفض والعناد والتمرد. ولو تأملنا ديوان الشاعر، لوجدنا فيه ظاهرة تكاد تغطي مساحة واسعة منه، ألا وهي تمرد على زعيم القبيلة عباس بن مرداس، ومهاجته إياه. ويظهر ذلك بوضوح في أخبار الصراع الذي نشب بين خفاف وابن عمه العباس بن مرداس، حول امتلاك مقاليد الزعامة، فقد قيل: «أن خفاف كان في ملاً من بني سليم، فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يبلِّغَ فينا ما بلغ عباس بن أنس، ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به، فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصال يا خفاف؟ قال: اتقاؤه بخيِّله عند الموت، واستهانتة بسبايا العرب، وقتله الأسرى، ومكالبته للصعاليك على الأسلاب، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته»⁽⁴⁾.

ليصل الخبر إلى أسماع العباس بن مرداس، فيكون الرد موجعاً ينبش جراحه الغائرة، يقول: «والله لا أشتم عرضك، ولا أسبُّ أباك وأمك، ولكن رمى سوادك بما فيك»⁽⁵⁾.

فيمتشق خفاف سلاح الهجاء المشبع بالزراية والتنقيص في وجه عدوه، الذي كان أمر من السم الزعاف يجرعه له قطرة فأخرى، على النقيض من الشاعر عنتر بن شداد، الذي وجد في فروسيته، وبطولاته، وخوضه غمار الحرب تعويضاً عن سواده، وتنكر قومه له، يقول:

أعباسُ بن مرداس أَلَمَّا تُخَبِّرَكَ المِجَامِعُ عَنْ خُفَّافِ

(1)-السليك بن سلكة (أخباره وشعره)، ص: 62.

(2)-العقاد، بين الكتب والناس، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، 1985م ص: 77.

(3)-أحمد محمود خليل، في النقد الجمالي-رؤية في الشعر الجاهلي- دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م، ص: 83.

(4)-الأغاني 6830-6829/19.

(5)-نفسه 6830/19.

فَتَعَلَّمَ أَنَّ عُدُودِي قَدْ يُعَيَّا عَلَى غَمَزِ الْمُقَوِّمِ وَالْتِقَافِ
 سَتَاتِيكَ الْقَوَافِي مِنْ قَرِيضِي مُلْمَلِمَةً كَجَلْمُودِ الْقِدَافِ
 وَتَشْرَبَ مِنْ لَظِي حَرْبِي كَوُوسًا أَمْرًا بِفِيكَ مِنْ سُمِّ دَعَافٍ⁽¹⁾

وتتفجر مكنونات نفس الشاعر خفاف بن ندبة المتصارعة، والتي تتأجج أشبه ببركان يغلي، وينفجر حقداً، وكراهية في وجه عباس بن مرداس، فيرميه بأنواع المعايب، ويضائل من شخصيته، وينعته بأبشع النعوت، فيقول:

أَرَى الْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلًا يَزِيدُ
 فَلَوْ نَقِضَتْ عَزَائِمُهُ وَبَادَتْ سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يُرِيدُ
 وَلَكِنَّ الْمَعَايِبَ أَفْسَدَتْهُ وَخَلَّفَ فِي عَشِيرَتِهِ زَهِيدًا⁽²⁾

إن روح الهجاء التي تملكك الشاعر خفاف بن ندبة، كانت أشد من وقع النبال على العباس بن مرداس، لأن للكلام تأثيراً أشد وأوقع في النفس، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، يبدو لي أن الشاعر خفاف بن ندبة طوع الهجاء ليسقط⁽³⁾ ما في نفسه من شعور بالألم، وعمق الأسى الذي يشعر به من حاجز اللون الممتد، وشوائب النسب، على شخص يتزعم القبيلة هو في واقع الحال يمثل النموذج المثالي المنتخب.

وبعد فلعلنا استطعنا أن نلقي بعض الضوء على نفسية الشعراء الأغرية ونعايش معهم بعض ما كان يضطرب في نفوسهم من حلم وعجز وطموح وقسر، فشعر أعرية العرب كان ينطلق من إحساس غائر بالدونية؛ و صورة من صور النقمة والتحدي والنزاع بين الواقع الوجودي للشعراء، وبين ما يتصورونه لذواتهم

فلأدب تبع لهذا الطرح وثيقة نفسية اجتماعية ناتج عن أسباب نفسية خاصة بالمبدع، وأنه يجب أن يقرأ قراءة تمتد من عالمه الباطني بغية الوصول إلى دلالته الخفية، وكل نص أدبي ليس سوى تجربة اجتماعية عبر واقع متخيل.

ولا ندعى أن ما وصلنا إليه هو الحقيقة التي لا جدال عليها وإنما كل ما فعلناه في هذه الورقة البحثية لا يعدو

(1)- شعر خفاف بن ندبة السلمي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967، ص: 104.

(2)- الديوان، ص: 62، باد: هلك، رجل زهيد: لثيم.

(3)- الإسقاط Projection: حيلة دفاعية نظمتها الذات دفاعاً عن نفسها، وحفاظاً لاعتبارها، إنها حماية للذات ضد المهانة، أو الاستخفاف بها، ولذلك يسقط الإنسان عن ذاته إلى غيره من الناس النزعات التي يستقبحها، ولا يطيقها في نفسه. ينظر: فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982 م ص: 98.

أن يكون لونا من ألوان الاجتهاد الشخصي، فإن أصبت فهو غاية الطموح، وإن كنت أخطأت فحسبي أنني حاولت، ولا كمال إلا لله وحده، فمنه السداد والتوفيق وعليه قصد السبيل.

5-قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، مصطفى سوييف، منشورات جماعة علم النفس التكاملية، دار المعارف، القاهرة-جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، د.ت.
- 2-أصول نظرية نقد الشعر عند العرب عناد غزوان، مدارات نقدية، صنعاء-اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
- 3-الأغاني، الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- 4-الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1998م.
- 5-الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت-باريس، الطبعة الثالثة، 1983م
- 6-البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405هـ-1985م.
- 7-بين الكتب والناس، عباس محمود العقاد، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، 1985م.
- 8-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم الغرناوي، مراجعة: إبراهيم السامرائي، وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ- 1987م.
- 9-التفسير العلمي للأدب: نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997م.
- 10-التفسير النفسي للأدب: عزالدين اسماعيل، دار العودة بيروت -لبنان، الطبعة الرابعة، 1988م
- 11-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، مطبعة الظاهر، القاهرة، 1326هـ- 1908م..
- 12-الحيوان، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ- 1982م.
- 13-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية، 1404هـ- 1984م.
- 14-ديوان عنتر بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1390هـ- 1970م.

- 15-السليك بالسلكة-أخباره وشعره-، دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني -بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م.
- 16-الشخصية في ضوء التحليل النفسي، د. فيصل عباس، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.
- 17-شرح شواهد المغني، السيوطي تحقيق: محمد محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- 18-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
- 19-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف، مصر، 1959م.
- 20-شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمع وتحقيق، د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.
- 21-شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبد الحلیم حفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
- 22-العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، د. إحسان النص، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1963م
- 23-علم النفس الفردي -أصوله وتطبيقاته- إسحاق رمزي دار المعارف، القاهرة، ط2، 1953.
- 24-علم النفس المرضي (سوء التوافق في الحياة اليومية)، لورانس شافر، ترجمة: صبري جرجس، إشراف: يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، 1984م.
- 25-عنترة بن شداد العبسي، فوزي محمد أمين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م.
- 26-في النقد الجمالي-رؤية في الشعر الجاهلي- أحمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م،
- 27-في النقد والأدب، إيليا سليم الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1979م
- 28-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- 29-الكامل في اللغة والأدب والنحو، المبرد،، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997.
- 30-لسان العرب، ابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- 31-المحبر، ابن حبيب، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح: إيلزه ليحتن شتير،

مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1361هـ-1942م.

32-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الرابعة، 1378هـ - 1958م.

33-المعارف، ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، 1960م.

34-مناهج النقد الأدبي الحديث: إبراهيم الساعفين، و خليل الشيخ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوليدات، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2010م..

35-من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: محمد خلف الله أحمد، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1947م.

36-الموسوعة النفسية، خليل أبو فرحة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

37-النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة-الأردن، الطبعة الأولى، 2005

38-نقد الشعر في منظور نفسي، ريكان إبراهيم، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

الدوريات:

39-اغتراب الذات في شعر الأغربة، جاسم محمد عباس الصميدعي ومحمد كامل حماد الجابري، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد12، العراق، 2013م.

40- التحليل النفسي لشخصية عنتره في رحاب أشعاره وفقاً لنظرية سيجموند فرويد وألفريد أدلر، زراع أفين وفاطمة كوثيري، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد:8، العدد:4، العراق، 2018م.

41-سوسيولوجيا الأدب:(النشأة والتطور)، سعيده تومي:مجلة معارف قسم الآداب واللغات، جامعة البويرة-الجزائر، السنة الثامنة، العدد:16، ديسمبر:2014م.